

1

آيَاتُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.. تَأْمَلَاتٌ وَوَقَفَاتٌ وَدُرُوسٌ

سُورَةُ الطَّارِقِ

تَأْمَلَاتٌ وَوَقَفَاتٌ وَدُرُوسٌ



جَمْعٌ وَتَرْتِيبٌ :

أبي محمد مجدي بن سيد جابر



سُورَةُ الطَّارِقِ.. تَأْمَلَاتٌ وَوَقَفَاتٌ وَدُرُوسٌ

سُورَةُ الطَّارِقِ

«تَأْمَلَاتٌ وَوَقَفَاتٌ وَدُرُوسٌ»

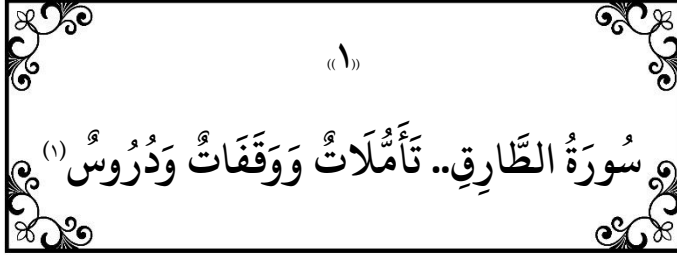
جَمْعٌ وَتَرْتِيبٌ:

أَبِي مُحَمَّدٍ مَجْدِي بْنِ سَيِّدِ جَابِرٍ

مَكْتَبَةُ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ بِسَاقِيَةِ أَبُو شَعْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.. تَأْمَلَاتٌ وَوَقَفَاتٌ وَدُرُوسٌ»



إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ
لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ ﷺ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

(١) هذه سلسلة من الخطب المنبرية بعنوان: «آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.. تَأْمَلَاتٌ وَوَقَفَاتٌ وَدُرُوسٌ»؛
تتحدث كل خطبة عن جملة من آيات الكتاب العزيز من حيث المعاني والدروس المستفادة من
الآيات، اعتمدت فيها -بحول الله وقوته- على الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ثم على تفاسير علماء السنة،
جامعا الفوائد والدرر منها وجعلها نسيجا واحدا. سائلا ربي المنان الرحيم أن ينفعني بها وإخواني من
الخطباء والدعاة على منهاج النبوة وعموم المسلمين.

أَمَّا بَعْدُ:

تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْعَمَلُ بِهِ

«فَلَا يَكْفِي مِنَّا أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَأَنْ نَتْلُوهُ وَنُكْتِرَ مِنْ تِلَاوَتِهِ، لَا يَكْفِي هَذَا، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ فِي مَعَانِيهِ وَأَسْرَارِهِ وَمَا عَرَّفَنَا بِهِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَمَا قَصَّه عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَمَا حَلَّ بِالْمُكَذِّبِينَ وَالْمُجْرِمِينَ، وَمَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِينَ.

وَكَذَلِكَ نَتَدَبَّرُ أَخْبَارَهُ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْحِسَابِ، وَمَا فِيهِ مِنْ وَزْنِ الْأَعْمَالِ، وَمَا فِيهِ مِنْ تَطَايُرِ الصُّحُفِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ، وَكَذَلِكَ نَتَدَبَّرُ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَمَا يَكُونُ فِي الْقَبْرِ، وَلَقَدْ ذَكَرْنَا الْقُرْآنَ هَذَا مُفَصَّلًا، وَهُوَ أَمْرٌ مُسْتَقْبَلٌ نَحْنُ قَادِمُونَ عَلَيْهِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَسْتَعِدَّ لَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَنَتَجَنَّبَ الْأَعْمَالَ الْمُحَرَّمَاتِ.

وَكَذَلِكَ نَتَفَكَّرُ فِي أَحْكَامِهِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَقَدْ بَيَّنَّ مَا يَجِلُّ لَنَا وَيَحْرُمُ عَلَيْنَا، وَمَا يَنْبَغِي لَنَا وَمَا لَا يَنْبَغِي لَنَا مِنَ الْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ:

﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: ٢٩]

فَبَيَّنَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْهَدَفَ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ أَنْ تَتَدَبَّرَ آيَاتِهِ؛ بِمَعْنَى: أَنْ تَتَفَكَّرَ فِي مَعَانِيهَا وَمَدُلُولَاتِهَا وَأَسْرَارِهَا وَأَخْبَارِهَا؛ حَتَّى نَسْتَفِيدَ مِنْهَا الْهِدَايَةَ، وَنَسْتَفِيدَ مِنْهَا خَشْيَةَ اللَّهِ ﷻ وَعِبَادَتَهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَعْرِفَ مَا نَأْتِي وَمَا نَتْرُكُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَعَبِيرِ ذَلِكَ، وَلَا يَتِمُّ هَذَا وَلَا يَحْصُلُ إِلَّا بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ.

وَوَصَفَ اللَّهُ -تَعَالَى- الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ مُبَارَكٌ؛ فَفِيهِ الْبَرَكَةُ بِكُلِّ مَعَانِيهَا، فَمَنْ يَتَدَبَّرُهُ يَحْصُلُ عَلَى هَذِهِ الْبَرَكَةِ، وَمَنْ تَعَلَّمَهُ يَحْصُلُ عَلَى هَذِهِ الْبَرَكَةِ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَتَلَاهُ يَحْصُلُ عَلَى هَذِهِ الْبَرَكَةِ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ حَصَلَ عَلَى الْبَرَكَةِ، وَكُلَّمَا قَرُبْتَ مِنْهُ حَصَلَتْ عَلَى هَذِهِ الْبَرَكَةِ.

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا

كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢].

فَاللَّهُ يَسْتَنْكِرُ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ وَأَنَّهُ قَدْ سَبَبَ لَهُمْ هَذَا الْإِعْرَاضُ الْحَيْرَةَ وَالضَّلَالَ، وَلَوْ أَنَّهُمْ تَدَبَّرُوا كِتَابَ اللَّهِ وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ

وَتَأْمَلُوا فِيهِ؛ لِحَصَلَتِ لَهُمُ الْهَدَايَةَ، وَلَا تَنْتَقِلُوا مِنْ حَالَةِ الشَّقَاءِ إِلَى حَالَةِ السَّعَادَةِ.

وَلَوْ تَدَبَّرُوهُ لَعَرَفُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَنَاقَضُ، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُفَسِّرُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْحُسْنِ وَالْبَلَاغَةِ وَالصِّدْقِ وَالْإِعْجَازِ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]؛ أَي: يُشْبِهُهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْحُسْنِ وَالْإِتْقَانِ وَالصِّدْقِ.

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ بِتَدَبُّرٍ وَتَمَعْنٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ وَتَفَكُّرٍ فِي مَعَانِيهِ فَإِنَّهُ يُزِيلُ عَنْكَ أَوْهَامًا كَثِيرَةً وَوَسَاوِسَ عَظِيمَةً، وَيَبْعَثُ فِي قَلْبِكَ الطَّمَأِينَةَ، وَيُقَوِّي فِيكَ الْإِيمَانَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ مَعَ تَدَبُّرِهِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ تَزِيدُ فِي إِيمَانِ الْعَبْدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

وَكَلَّمَا أَكْثَرَ الْإِنْسَانَ مِنْ تَدَبُّرِ هَذَا الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَزِيدُ إِيمَانَهُ، وَيَزِيدُ يَقِينَهُ، وَيَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ، وَيَزِيدُ عِلْمَهُ وَفِقْهَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ.

وَقَالَ ﷺ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُرْتَدِّينَ وَالرَّاغِبِينَ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا

فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ أُرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا

بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا

مَأْنَزَلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴿٢٦﴾ [محمد: ٢٢-٢٦].

وَلَوْ أَنَّهُمْ تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ لَزَالَتْ عَنْهُمْ كُلُّ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ وَهَذِهِ الْعَوَارِضُ

الْقَبِيحَةُ، وَلَوْصَلُوا أَرْحَامَهُمْ، وَوَصَلُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَلَ، وَلَا طَاعُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا أَعْرَضُوا عَنِ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَتَدَبَّرُوهُ ابْتُلُوا بِهَذِهِ الْمَصَائِبِ؛

فَابْتُلُوا بِالْقَطِيعَةِ، وَحَقَّتْ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ، وَوَقَعُوا فِي الرَّدَّةِ، كُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ

لَمْ يَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ.

وَأَغْلَقَتْ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْفَهْمِ: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

فَالْإِنْسَانُ إِذَا أَعْرَضَ عَنِ الْقُرْآنِ فَإِنَّ قَلْبَهُ يَقْسُو وَيَمْرُضُ، وَفِي النَّهْيَةِ
يَقْفُلُ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْهُدَى وَلَا التُّورُ؛ عُقُوبَةٌ لَهُ - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ، كُلُّ هَذَا بِسَبَبِ
عَدَمِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَلِهَذَا يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمته الله (١):

فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ إِنْ رُمْتَ الْهُدَى = فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ
وَلَا يَكْفِي مِنَّا أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَأَنْ نَتْلُو الْقُرْآنَ، وَأَنْ نَتَدَبَّرَ الْقُرْآنَ،
بَلْ لَا بَدَّ مِنَ الْأَمْرِ الرَّابِعِ وَهُوَ الْعَمَلُ بِهِ؛ بِمَعْنَى: أَنْ نُحِلَّ حَلَالَهُ وَنُحَرِّمَ حَرَامَهُ،
وَنَتَّقِيَدَ بِأَوَامِرِهِ وَنَتَجَنَّبَ مَا نَهَانَا عَنْهُ.

وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ، وَتَعَلَّمُهُ وَتِلَاوَتُهُ وَتَدَبُّرُهُ كُلُّهُ وَسِيلَةٌ إِلَى الْعَمَلِ.

أَمَّا إِذَا اقْتَصَرْنَا عَلَى التَّلَاوَةِ وَالتَّدَبُّرِ وَتَرَكْنَا الْعَمَلَ فَإِنَّا وَقَفْنَا فِي أَوَّلِ
الطَّرِيقِ وَلَمْ نَحْصُلْ عَلَى شَيْءٍ، وَصَارَ تَعَبْنَا لَا فَايْدَةَ مِنْهُ؛ لِأَنَّاتْنَا أَتَعَبْنَا أَنْفُسَنَا فِي
السَّبَبِ وَتَرَكْنَا الثَّمَرَ؛ لِأَنَّ الثَّمَرَ هِيَ الْعَمَلُ بِالْقُرْآنِ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ

إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

(١) «الكافية الشافية» (ص: ٥٥) لابن القيم رحمته الله.

فَهَذِهِ الْآيَةُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَفْتَصِرُوا عَلَى التَّلَاوَةِ، بَلْ أَقَامُوا الصَّلَاةَ بَعْدَ أَنْ قَامُوا بِتِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ؛ بِإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالصَّدَقَاتِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ، وَهَذِهِ هِيَ ثَمَرَةُ التَّلَاوَةِ وَهِيَ الْعَمَلُ بِمَا فِيهِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا عَمِلْتَ بِهِ صَارَ حُجَّةً لَكَ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ، وَإِذَا عَطَلْتَ الْعَمَلَ بِهِ صَارَ حُجَّةً عَلَيْكَ.

قَالَ ﷺ: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»^(١).

يَسْأَلُكَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مِنْ آيَاتِي تُنَلِّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا

تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ [المؤمنون: ١٠٥].

﴿فَدَكَانَتْ آيَاتِي تُنَلِّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ نَنكَبُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٦].

فَاللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لِلْكَافِرَةِ وَأَصْحَابِ النَّارِ: أَلَسْتُ قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هَذَا الْمَصِيرَ وَهَذِهِ الْعَاقِبَةَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَتَجَنَّبُوهَا، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ تَعْمَلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تُنْقِذُكُمْ مِنْهَا.

فَمَنْ افْتَصَرَ عَلَى تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَتَدْبِيرِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَهَذَا أَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى نَفْسِهِ، وَلِهَذَا يَقُولُ بَعْضُ السَّلَفِ: «رُبَّ قَارِئٍ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ».

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

قَالُوا: «وَكَيْفَ ذَلِكَ؟».

قَالَ: «يَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ [سورة

آل عمران: ٦١]، وَهُوَ يَكْذِبُ، وَيَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّٰلِمِينَ﴾

[سورة هود: ١٨]، وَهُوَ يَظْلِمُ!»^(١).



(١) «تدبر القرآن» (ص: ١٣-١٨) للعلامة د. صالح الفوزان - حفظه الله-.

تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ مِفْتَاحُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ

لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ -تَعَالَى- عِبَادَهُ بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ، وَعَنْ تَفَهُمِ مَعَانِيهِ الْمُحْكَمَةِ وَالْفَاطِظِ الْبَلِيغَةِ، وَمُخْبِرًا لَهُمْ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا اضْطِرَابَ، وَلَا تَضَادًّا وَلَا تَعَارُضًا؛ لِأَنَّهُ نَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، فَهُوَ حَقٌّ مِنْ حَقِّ (١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا

كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢].

«يَأْمُرُ -تَعَالَى- بِتَدَبُّرِ كِتَابِهِ، وَهُوَ التَّأْمُّلُ فِي مَعَانِيهِ، وَتَحْدِيقُ الْفِكْرِ فِيهِ، وَفِي مَبَادِيئِهِ وَعَوَاقِبِهِ، وَلَوَازِمِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ فِي تَدَبُّرِ كِتَابِ اللَّهِ مِفْتَاحًا لِلْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، وَبِهِ يُسْتَنْتَجُ كُلُّ خَيْرٍ وَتُسْتَخْرَجُ مِنْهُ جَمِيعُ الْعُلُومِ، وَبِهِ يَزْدَادُ الْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ وَتَرَسُخُ شَجَرَتُهُ، فَإِنَّهُ يُعَرِّفُ بِالرَّبِّ الْمَعْبُودِ، وَمَا لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمَا يُبَيِّنُهُ عَنْهُ مِنْ سِمَاتِ النَّقْصِ، وَيُعَرِّفُ الطَّرِيقَ الْمَوْصِلَةَ إِلَيْهِ وَصِفَةَ أَهْلِهَا، وَمَا لَهُمْ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَيُعَرِّفُ الْعَدُوَّ الَّذِي هُوَ الْعَدُوُّ عَلَى الْحَقِيقَةِ،

(١) بتصرف يسير من: «تفسير ابن كثير» (ص: ٣٢١).

وَالطَّرِيقَ الْمُوصَلَةَ إِلَى الْعَذَابِ، وَصِفَةَ أَهْلِهَا، وَمَا لَهُمْ عِنْدَ وُجُودِ أَسْبَابِ الْعِقَابِ.

وَكُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ تَأْمَلًا فِيهِ ازْدَادَ عِلْمًا وَعَمَلًا وَبَصِيرَةً، لِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ وَحَثَّ عَلَيْهِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنزَالِ الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيدْبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة ص: ٢٩] ،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [سورة محمد: ٢٤].

وَمِنْ فَوَائِدِ التَّدْبِيرِ لِكِتَابِ اللَّهِ: أَنَّهُ بِذَلِكَ يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَى دَرَجَةِ الْيَقِينِ وَالْعِلْمِ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، لِأَنَّهُ يَرَاهُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُؤَافِقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَتَرَى الْحِكْمَ وَالْقِصَّةَ وَالْإِخْبَارَاتِ تُعَادُ فِي الْقُرْآنِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، كُلُّهَا مُتَوَافِقَةٌ مُتَصَادِقَةٌ، لَا يَنْقُضُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَبِذَلِكَ يُعْلَمُ كَمَالُ الْقُرْآنِ وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ مَنْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْأُمُورِ، فَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء: ٨٢] أَي: فَلَمَّا كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ اخْتِلَافٌ أَصْلًا^(١).

وَقَالَ - جَلَّ وَعَلَا -:

﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيدْبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة ص: ٢٩].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٢٠٥) للعلامة: عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمته.

﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكٌ﴾ فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَعِلْمٌ غَزِيرٌ، فِيهِ كُلُّ هُدًى مِنْ ضَلَالَةٍ، وَشِفَاءٍ مِنْ دَاءٍ، وَنُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ، وَكُلُّ حُكْمٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُكَلَّفُونَ، وَفِيهِ مِنَ الأدِلَّةِ الْقَطْعِيَّةِ عَلَى كُلِّ مَطْلُوبٍ مَا كَانَ بِهِ أَجَلٌ كِتَابٍ طَرَقَ الْعَالَمَ مِنْذُ أَنْشَأَهُ اللَّهُ.

﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ أَي: هَذِهِ الْحِكْمَةُ مِنْ إِنْزَالِهِ؛ لِيَتَدَبَّرَ النَّاسُ آيَاتِهِ، فَيَسْتَخْرِجُوا عِلْمَهَا وَيَتَأَمَّلُوا أَسْرَارَهَا وَحِكْمَهَا، فَإِنَّهُ بِالتَّدَبُّرِ فِيهِ وَالتَّامُّلِ لِمَعَانِيهِ وَإِعَادَةِ الْفِكْرِ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ تُدْرِكُ بَرَكَتَهُ وَخَيْرَهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى الْحُثِّ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، وَأَنَّ الْقِرَاءَةَ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى التَّدَبُّرِ أَفْضَلُ مِنْ سُرْعَةِ التَّلَاوَةِ الَّتِي لَا يَحْصُلُ بِهَا هَذَا الْمَقْصُودُ.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أَي: أُولُو الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ، يَتَذَكَّرُونَ بِتَدَبُّرِهِمْ لَهَا كُلِّ عِلْمٍ وَمَطْلُوبٍ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ بِحَسَبِ لُبِّ الْإِنْسَانِ وَعَقْلِهِ يَحْصُلُ لَهُ التَّذَكُّرُ وَالْإِنْتِفَاعُ بِهَذَا الْكِتَابِ»^(١).



(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٨٣٧).

بَيْنَ يَدَي تَفْسِيرِ سُورَةِ الطَّارِقِ

«سُورَةُ الطَّارِقِ» مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا سَبْعَ عَشْرَةَ آيَةً.

هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ تُعَالِجُ بَعْضَ الْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمَحْوَرُ السُّورَةِ يَدُورُ حَوْلَ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَقَدْ أَقَامَتِ الْبُرْهَانَ السَّاطِعَ وَالذَّلِيلَ الْقَاطِعَ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- عَلَى إِمْكَانِ الْبَعْثِ؛ فَإِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنَ الْعَدَمِ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

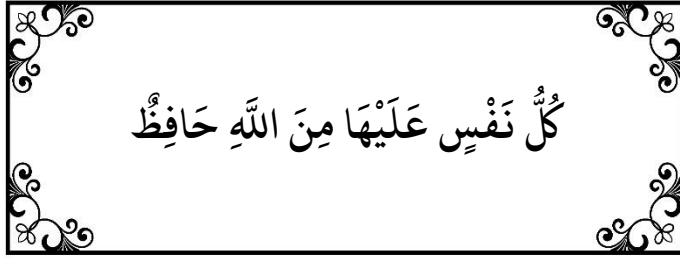
-ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَسَمِ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْكَوَاكِبِ السَّاطِعَةِ، الَّتِي تَطْلُعُ لَيْلًا لِضِيَاءِ لِلنَّاسِ سُبُلَهُمْ؛ لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، أَقْسَمَ -تَعَالَى- عَلَى أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ قَدْ وُكِّلَ بِهِ مِنْ يَحْرُسُهُ وَيَتَعَهَّدُ أَمْرَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ [سورة الطارق ١: ٤] الْآيَاتِ.

-ثُمَّ سَأَتِ الْأَدِلَّةَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى قُدْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى إِعَادَةِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ فَنَائِهِ ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ [سورة الطارق ٥: ٨] الْآيَاتِ.

-ثُمَّ أَخْبَرَتْ عَنْ كَشْفِ الْأَسْرَارِ وَهَتِكِ الْأَسْتَارِ فِي الْآخِرَةِ عَنِ الْبَشَرِ،
حَيْثُ لَا مُعِينَ لِلْإِنْسَانِ وَلَا نَصِيرَ ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ ٩ ﴿فَأَلَّهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ ١٠ ﴿
[الطارق: ٩-١٠].

-وَحُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، مُعْجِزَةَ
مُحَمَّدٍ ﷺ الْخَالِدَةِ، وَحُجَّتِهِ الْبَالِغَةِ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَبَيَّنَّتْ صِدْقَ هَذَا
الْقُرْآنِ، وَأَوْعَدَتِ الْكُفْرَةَ الْمُجْرِمِينَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِتَكْذِيبِهِمْ بِالْقُرْآنِ
السَّاطِعِ الْمُنِيرِ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ١١ ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ ١٢ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ ١٣ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ﴾ ١٤ ﴿
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ١٥ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ١٦ ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ رُؤْيَا﴾ ١٧ ﴿ [الطارق: ١١-١٧].





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

[سورة الطارق ١: ٤].

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾: الْوَاوُ لِلْقَسَمِ، أَقْسَمَ اللَّهُ - تَعَالَى - بِالسَّمَاءِ؛

وَذَلِكَ لِعِظَمِهَا وَارْتِفَاعِهَا وَسَعَتِهَا وَقُوَّتِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا

شِدَادًا﴾ [النبا: ١٢] أَي: قَوِيَّةً، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ بَيْنَ يَدَيْهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]

أَي: بِقُوَّةٍ ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، فَأَقْسَمَ اللَّهُ بِالسَّمَاءِ لِعِظَمِهَا^(١).

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾: أَصْلُ الطَّرْقِ فِي اللَّعَةِ: الدَّقُّ، وَمِنْهُ المِطْرَقَةُ؛ وَلِذَا قَالُوا

لِلَّاتِي لَيْلًا: طَارِقٌ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى طَرَقِ البَابِ.

(١) «اللقاء الشهري» (٤٥) «وقفات مع سورة الطارق» للعلامة: محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.

وَفِي الْحَدِيثِ: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ»^(١).

فَهُوَ لَفْظٌ عَمَّ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي شَيْئُهُ الْمَفَاجِئِ، وَلَكَانَهُ يَأْتِي فِي حَالَةٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ.

وَلَكِنَّهُ هُنَا خُصَّ بِمَا فَسَّرَ بِهِ بَعْدَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾^(٢) النِّجْمِ الثَّاقِبِ^(٣).

فَفَسَّرَ الطَّارِقَ بِقَوْلِهِ: ﴿النِّجْمُ الثَّاقِبُ﴾

وَسُمِّيَ طَارِقًا، لِأَنَّهُ يَطْرُقُ لَيْلًا^(٤).

قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِيهِ مُفْخَمًا إِيَّاهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ [الطارق: ٢]^(٥).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ^(٥): «قَالَ سُفْيَانُ: كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ: «وَمَا أَدْرَاكَ» فَقَدْ أَخْبَرَهُ بِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَالَ فِيهِ: «وَمَا يُدْرِيكَ» لَمْ يُخْبِرْهُ بِهِ».

(١) أخرجه أحمد (٤١٩/٣) بإسناد صحيح، وابن السني برقم (٦٣٧)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٩٩٥).

(٢) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٤٩٠/٨) للعلامة: محمد الأمين الشنقيطي رحمته.

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٨٥).

(٤) «اللقاء الشهري» (٤٥) «وقفات مع سورة الطارق» للعلامة: محمد بن صالح العثيمين رحمته.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٣/٢٠) لأبي عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي رحمته.

وَالْوَاقِعُ أَنَّهُ الْعَالِبُ؛ فَقَدْ جَاءَتْ: «وَمَا أَدْرَاكَ» ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَرَّةً، كُلُّهَا أَخْبَرَهُ بِهَا إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ فِي الْحَاقَّةِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣]، وَمَا عَدَاهَا فَقَدْ أَخْبَرَهُ بِهَا^(١).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ أَي: أَيُّ شَيْءٍ أَعْلَمَكَ عَنْ هَذَا الطَّارِقِ؟ وَمَا هُوَ؟ وَمَاذَا يَطْرُقُ؟

فَبَيَّنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ: ﴿الْنَجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ٣]، وَهَلْ هُوَ نَجْمٌ وَاحِدٌ أَمْ الْمُرَادُ جِنْسُ النَّجْمِ؟

الظَّاهِرُ الثَّانِي؛ أَي: أَنَّ الْمُرَادَ جِنْسُ النَّجْمِ، وَلَيْسَ نَجْمًا وَاحِدًا مُعَيَّنًا؛ لِأَنَّ كُلَّ نَجْمٍ وَإِنْ دَقَّ فَهوَ ثَاقِبٌ؛ أَي: يَثْقُبُ الظَّلَامَ بِنُورِهِ، أحيانًا يَصِلُ نُورُ الْكَوَاكِبِ إِلَى الْأَرْضِ، وَنَحْنُ شَاهِدُنَا ذَلِكَ، وَيُشَاهِدُهُ أَهْلُ الْبَرِّ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمْ إِضَاءَةٌ بِالْكَهْرُبَاءِ فَتَجِدُهُمْ يَجِدُونَ نُورَ الْكَوَاكِبِ سَاطِعًا فِي الْأَرْضِ لَا سِيَّمَا الْكَوَاكِبُ الْمُضِيئَةُ الْكَبِيرَةُ.

إِذْنِ؛ الْمُرَادُ كُلُّ النُّجُومِ فَهِيَ ثَاقِبَةٌ تَثْقُبُ الظَّلَامَ بِضِيَائِهَا، وَهِيَ -أَيْضًا- ثَاقِبَةٌ تَثْقُبُ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ أَحْبَارَ السَّمَاءِ وَيُلْقُونَهَا إِلَى الْكُهَّانِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ أَلْسَمَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ [الحجر: ١٨].

(١) «أَصْوَاءُ النَّبِيَّانِ فِي إِضْاحِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ» (٨/ ٤٩٠).

يَنْقُبُ الشَّيْطَانُ - يُحْرِقُهُ - حَتَّى يُحْرِقَهُ، هَذِهِ الشَّيَاطِينُ الَّتِي تَسْتَرِيقُ السَّمْعَ
تَنْزِلُ بِمَا تَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْكُهَّانِ، وَالْكَهَّانُ هُمُ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ النَّاسَ بِمَا
يَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ سَوَاءً كَانَ عَامًّا أَوْ خَاصًّا، فَالْكَاهِنُ يَقُولُ: سَيَحْدُثُ -
مَثَلًا- فِي هَذَا الْعَامِ الْمُقْبِلِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمَصَائِبِ، أَوْ يَقُولُ لِشَخْصٍ
مُعَيَّنٍ: يَا فُلَانُ! سَيَنَالُكَ فِي هَذَا الْعَامِ الْمُقْبِلِ كَذَا وَكَذَا.

تَنْزِلُ الشَّيَاطِينُ بِمَا سَمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْكُهَّانِ فَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مَا
سَمِعَ ثُمَّ يُضِيفُ إِلَيْهِ كَلِمَاتٍ أُخْرَى، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: يَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةٌ
كَذِبَةٍ، فَيَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا الْخَبَرِ، ثُمَّ إِذَا وَقَعَ شَيْءٌ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ ادَّعَى أَنَّهُ يَعْلَمُ
الْغَيْبَ، وَقَالَ: إِنَّهُ يَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ، وَسَلَبَ عُقُولَ النَّاسِ.

وَلَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ مِنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ
بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(١).

أَيُّ إِنْسَانٍ يَأْتِي إِلَى كَاهِنٍ وَيَقُولُ: يَا فُلَانُ! أَخْبِرْنِي كَيْفَ سَيَكُونُ مُسْتَقْبَلِي؟
قَالَ: مُسْتَقْبَلُكَ طَيِّبٌ، أَوْ قَالَ: مُسْتَقْبَلُكَ رَدِيءٌ، فَإِذَا صَدَّقَ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا
أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ، لِمَاذَا؟

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤) واللفظ له، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٠١٧)، وابن
ماجه (٦٣٩)، وأحمد (١٠١٦٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٩٠٤).

لَاِنَّ اللّٰهَ - تَعَالَى - قَالَ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ الْغَيْبَ اِلَّا اللّٰهُ﴾

[النمل: ٦٥].

فَمَنْ صَدَقَ اَحَدًا بِعِلْمِ الْغَيْبِ فَقَدْ كَذَّبَ هَذِهِ الْاَيَّةَ، وَتَكْذِيبُ جُزْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ اَوْ اَيَّةٍ مِنَ الْقُرْآنِ اَوْ حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ كُفْرٌ وَرِدَّةٌ عَنِ الْاِسْلَامِ^(١).

وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿اِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيَّآ حَافِظٌ﴾ [سورة الطارق: ٤]^(٢).

﴿حَافِظٌ﴾: قِيلَ: حَافِظٌ لِاَعْمَالِهِ يُحْصِيهَا عَلَيْهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ

اِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨].

وَقِيلَ: حَارِسٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُوْنَهُ مِنْ

اَمْرِ اللّٰهِ﴾ [سورة الرعد: ١١].

وَالسِّيَاقُ يَشْهَدُ لِلْمَعْنَيْنِ مَعًا^(٣).

يَحْفَظُ عَلَيْهَا اَعْمَالَهَا الصَّالِحَةَ وَالسَّيِّئَةَ، وَسُجَّازَى بِعَمَلِهَا الْمَحْفُوظِ

عَلَيْهَا^(٤).

(١) «اللقاء الشهري» (٤٥) «وقفات مع سورة الطارق» للعلامة: محمد بن صالح العثيمين رحمته.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٨٥).

(٣) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٨/ ٤٩٢).

(٤) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٨٥).

أَوْ: كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ يَحْرُسُهَا مِنَ الْآفَاتِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿لَهُ، مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الرعد: ١١] (١).

﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] أي: مَا كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ،

فَكُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظٌ مِنَ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ: ﴿لَهُ، مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ

حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا، وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

قَالَ الْعُلَمَاءُ: انْظُرْ إِلَى فَضْلِ اللَّهِ، انْظُرْ إِلَى نِعَمِ اللَّهِ؛ يَحْفَظُ الْإِنْسَانَ حَيًّا

وَمَيِّتًا ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١] فِي الْحَيَاةِ، وَبَعْدَ الْمَمَاتِ تَقْبِضُهُ

الرُّسُلُ - الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ -، وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ فِي هَذِهِ النَّفْسِ الَّتِي تَوَفَّوْهَا، بَلْ

يَحْفَظُونَهَا أَتَمَّ حِفْظٍ، فَالْإِنْسَانُ مُحْفُوظٌ حَيًّا وَمَيِّتًا: ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾

[الطارق: ٤].

وَمِنَ الْحَفَظَةِ: الْكَرَامُ الْكَاتِبُونَ، كَمَا فِي سُورَةِ الْإِنْفِطَارِ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ

لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١١]، هُوَ لِأَنَّ الْحَفَظَةَ الْكَاتِبُونَ يَحْفَظُونَ

كُلَّ مَا يَصْدُرُ مِنَ الْإِنْسَانِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَنْتَقَى الْمَتَلَقِينَ عَنِ

(١) «تفسير ابن كثير» (٨ / ٣٦٨).

الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ [ق: ١٧] يَعْني: عَنِ الْيَمِينِ قَعِيدٌ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿وَلِئَنَّا
عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينًا ﴿١١﴾﴾ [سورة الانفطار ١٠: ١١] كُلُّ قَوْلٍ مَا تَلْفِظُهُ إِلَّا
عِنْدَكَ رَقِيبٌ عَتِيدٌ، مُرَاقِبٌ حَاضِرٌ، الرَّقِيبُ: هُوَ الْمُرَاقِبُ، وَالْعَتِيدُ: هُوَ الْحَاضِرُ
الْمُلَازِمُ، كَمْ تَكَلَّمْتَ مِنْ كَلِمَاتٍ؟

لَا تُحْصِي، الْإِنْسَانُ لَا يُحْصِي مَا تَكَلَّمَ بِهِ، كُلُّ كَلِمَةٍ فَإِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ.

وَمَتَى نَطَّلِعُ عَلَى مَا كَتَبَ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْرِهٖ فِي عُنُقِهٖ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا

يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَامًّا، أَيَّ قَوْلٍ كَانَ.



دَعْوَةٌ إِلَى النَّظَرِ فِي أَصْلِ الْخَلْقِ

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]: ﴿فَلْيَنْظُرِ﴾: لَأَمْ الْأَمْرِ، أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تَنْظُرَ

مِمَّا خُلِقْنَا، وَأَجَابَ: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿[الطارق: ٦-٧]﴾^(١).

﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾: ﴿دَافِقٍ﴾: مَضْبُوبٌ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ، يُقَالُ: دَفَقَ الْمَاءُ دَفْقًا إِذَا

انْصَبَّ بِدَفْعٍ وَشِدَّةٍ.

﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾ يَعْنِي: الْمَنِيُّ يَخْرُجُ دَفْقًا مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْهُمَا الْوَلَدُ

-بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ-، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يَعْنِي: صُلْبَ الرَّجُلِ

وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ وَهُوَ صَدْرُهَا^(٢).

﴿الصُّلْبِ﴾: فَقَارِ الظَّهْرِ، وَيُسَمَّى سُلْسَلَةَ الظَّهْرِ، ﴿وَالْتَرَائِبِ﴾: عِظَامَ الصَّدْرِ

جَمْعُ تَرْيِبَةٍ.

(١) «اللقاء الشهري» (٤٥) «وقفات مع سورة الطارق» للعلامة: محمد بن صالح العثيمين رحمته الله.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨ / ٣٦٨).

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ الْمَنِيَّ الدَّافِقَ، وَهُوَ مَنِيُّ الرَّجُلِ، وَأَنَّ مَحَلَّهُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ مَا بَيْنَ صُلْبِهِ وَتَرَائِبِهِ، وَلَعَلَّ هَذَا أَوْلَى؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ الْمَاءَ الدَّافِقَ الَّذِي يَخْسُ بِهِ وَيُشَاهِدُ دَفْقَهُ، هُوَ مَنِيُّ الرَّجُلِ، وَكَذَلِكَ لَفْظُ التَّرَائِبِ فَإِنَّهَا تُسْتَعْمَلُ فِي الرَّجُلِ؛ فَإِنَّ التَّرَائِبَ لِلرَّجُلِ بِمَنْزِلَةِ الشَّدِيِّينَ لِلْأُنْثَى، فَلَوْ أُرِيدَتِ الْأُنْثَى لَقِيلَ: مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالشَّدِيِّينَ وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

فِي الْآيَاتِ: «تَنْبِيهُ لِلْإِنْسَانِ عَلَى ضَعْفِ أَصْلِهِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ، وَإِرْشَادٌ لَهُ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِالْمَعَادِ؛ لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبَدَاءَةِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الرُّوم: ٢٧]»^(٢).



(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٨٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٦٨).

الإِيمَانُ بِالْبَعْثِ وَإِظْهَارُ اللَّهِ مَا فِي الصَّمَائِرِ

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨] ﴿إِنَّهُ﴾ ﴿أَيُّ: الرَّبِّ وَعَجَلٌ﴾ ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾

أَيُّ: عَلَى رَجْعِ الْإِنْسَانِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿لَقَادِرٌ﴾؛ لِأَنَّ الْقَادِرَ عَلَى أَوَّلِ الْخَلْقِ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَهُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

إِذَنْ؛ ﴿إِنَّهُ﴾: الصَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ [سورة الطارق: ٨]: الصَّمِيرُ فِي رَجْعِهِ ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ يَعُودُ عَلَى الْإِنْسَانِ؛ أَيُّ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى رَجْعِ الْإِنْسَانِ لَقَادِرٌ، وَتَأْمَلْ قَوْلَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١-٥٢]، قَالُوا يَا بُولَاقًا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿[يس: ٥١-٥٢]، فَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿[يس: ٥٢-٥٣]

سُبْحَانَ اللَّهِ! صَيْحَةً وَاحِدَةً يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِهَا أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْقُبُورِ أَحْيَاءً،
فَيَخْرُجُونَ أَحْيَاءً ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].^(١)

فَالَّذِي أَوْجَدَ الْإِنْسَانَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ، يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ الصَّعْبِ قَادِرٌ
عَلَى رَجْعِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِعَادَتِهِ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْحِزَاءِ.^(٢)

﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [سورة الطارق: ٩]: ﴿السَّرَائِرُ﴾: هِيَ كُلُّ مَا يُخْفِيهِ الْإِنْسَانُ
حَتَّى فِي الْمُعَامَلَاتِ مَعَ النَّاسِ.^(٣)

﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ أَي: تُخْتَبَرُ سَرَائِرُ الصُّدُورِ، وَيَظْهَرُ مَا كَانَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ
خَيْرٍ وَشَرٍّ عَلَى صَفْحَاتِ الْوُجُوهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾
[آل عمران: ١٠٦]، ففِي الدُّنْيَا تَنْكَبْتُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ وَلَا تَظْهَرُ عَيْنَانَا لِلنَّاسِ،
وَأَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَظْهَرُ بَرُّ الْأَبْرَارِ وَفُجُورُ الْفُجَّارِ، وَتَصِيرُ الْأُمُورُ عَلَانِيَةً.^(٤)
يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ؛ أَي: تَظْهَرُ وَتَبْدُو وَيَبْقَى السِّرُّ عَلَانِيَةً
وَالْمَكْنُونُ مَشْهُورًا.

(١) «اللقاء الشهري»، (٤٥) «وقفات مع سورة الطارق»، للعلامة: محمد بن صالح العثيمين رحمته.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٨٥).

(٣) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٨/ ٤٩٤).

(٤) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٨٥).

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يُقَالُ هَذِهِ عَدْرَةُ فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ»^(٢).

السَّرَائِرُ: جَمْعُ سَرِيرَةٍ، وَهُوَ مَا يُكِنُّهُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ، وَالْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْتَبَرُ عَنِ هَذَا، لَا يُخْتَبَرُ عَلَى الظَّاهِرِ، يُخْتَبَرُ عَلَى الْبَاطِنِ، انْتَبَهُوا! فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَسَاسُ وَالْعُمْدَةُ: الْبَاطِنُ السَّرِيرَةُ، وَفِي الدُّنْيَا: الظَّاهِرُ، فَنَحْنُ نَحْكُمُ عَلَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا بِالظَّاهِرِ، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۙ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۙ ﴾ [العاديات ٩ : ١٠]^(٣).

﴿قَالَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [سورة الطارق: ١٠]: ﴿قَالَ لَهُ، أَي: الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ أَي: فِي نَفْسِهِ ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ أَي: مِنْ خَارِجٍ مِنْهُ؛ أَي لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ أَحَدٌ ذَلِكَ^(٤).

لَيْسَ مِنْ قُوَّةٍ فِي نَفْسِهِ لِضَعْفِهِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَعَرِضُوا عَلَيَّ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة الكهف: ٤٨] ، وَقَوْلُهُ: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقَهُمْ ذَلَّةً﴾
[سورة القلم: ٤٣] أَي: مِنَ الضَّعْفِ وَشِدَّةِ الْخَوْفِ،

(١) أخرجه صحيح البخاري (٧١١١)، ومسلم (١٧٣٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣٦٩ / ٨).

(٣) «اللقاء الشهري» (٤٥) «وقفات مع سورة الطارق» للعلامة: محمد بن صالح العثيمين رحمته الله.

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣٦٩ / ٨).

وَلَا نَاصِرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا

كَانَ مُنْصِرًا ۝﴾ [سورة الكهف: ٤٣] ^(١).

يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْتَصِرُ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ قُوَّةٌ، وَلَا بَغِيرَهُ؛
لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْفَعُ إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ، لَا أَبٌ وَلَا أُمٌّ وَلَا
أَخٌ وَلَا ابْنٌ وَلَا حَارِسٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا جُنْدِيٌّ، وَلَا أَيٌّ أَحَدٍ، لَا أَحَدٌ يَنْصُرُهُ، لَيْسَ
لَهُ قُوَّةٌ بِنَفْسِهِ وَلَا قُوَّةٌ بَغَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ مَا لَهُ قُوَّةٌ وَلَا نَاصِرٌ.



(١) «أَصْوَاءُ النَّبِيَّانِ فِي إِضْحَاحِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ» (٨ / ٤٩٤).

الْقَسَمُ بِالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ قَوْلُ فَضْلٍ

ثُمَّ قَالَ ﷻ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝۱۱ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝۱۲﴾ [الطارق: ١١-١٢]: الْوَاوُ هُنَا لِلْقَسَمِ مِثْلَمَا قَالَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝۱﴾ [الطارق: ١] أَقْسَمَ اللَّهُ بِالسَّمَاءِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا ذَاتُ رَجْعٍ أَيُّ: ذَاتُ مَطَرٍ؛ لِأَنَّ الْمَطَرَ تَرَجِعُ بِهِ الْأَرْضُ حَيَّةً بَعْدَ مَوْتِهَا، فَالسَّمَاءُ تَنْزِلُ مِنْهَا الْأَمْطَارُ وَتَرَجِعُ بِهِ الْأَرْضُ حَيَّةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَيِّتَةً.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝۱۲﴾ [الطارق: ١٢] أَيُّ: صَاحِبَةِ الصَّدْعِ، وَالصَّدْعُ هُوَ التَّشَقُّقُ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهَا الْمَطَرُ تَشَقَّقَتْ بِالنَّبَاتِ، مَطَرٌ يَنْزِلُ وَأَرْضٌ تُخْرَجُ؛ تَتَشَقَّقُ^(١).

تَرَجِعُ السَّمَاءُ بِالْمَطَرِ كُلِّ عَامٍ، وَتَنْصَدِعُ الْأَرْضُ لِلنَّبَاتِ، فَيَعِيشُ بِذَلِكَ الْأَدَمِيُّونَ وَالْبَهَائِمُ.

(١) «اللقاء الشهري» (٤٥) «وقفات مع سورة الطارق» للعلامة: محمد بن صالح العثيمين رحمته الله.

وَتَرْجِعُ السَّمَاءَ - أَيْضًا - بِالْأَقْدَارِ وَالشُّؤْنِ الْإِلَهِيَّةِ كُلِّ وَقْتٍ، وَتَنْصَدِعُ
الْأَرْضُ عَنِ الْأَمْوَاتِ^(١).

وَالَّذِي يَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ: أَنَّ الرَّجْعَ وَالصَّدْعَ مُتَقَابِلَانِ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ بِالْمَطَرِ وَالتَّبَاتِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^(٢٤) أَنَا صَبَبْنَا
الْمَاءَ صَبًّا^(٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا^(٢٦) فَأَبْتْنَا فِيهَا جَبًّا^(٢٧) وَعَبْنَا وَقَضَبًّا^(٢٨) ﴿[عبس: ٢٤-٢٨].
وَاللَّهُ - تَعَالَى - أَعْلَمُ^(٢).

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: ١٣]: ﴿إِنَّهُ﴾ ﴿أَيُّ: الْقُرْآنُ﴾ ﴿لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ ﴿أَيُّ: حَقٌّ
وَصَدْقٌ بَيْنٌ وَاضِحٌ.

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ﴿أَيُّ: جَدُّ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَهُوَ الْقَوْلُ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَ الطَّوَائِفِ
وَالْمَقَالَاتِ، وَتَنْفَصِلُ بِهِ الْخُصُومَاتُ^(٣).

الْقُرْآنُ يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، وَبَيْنَ الْمُقَاتِلِينَ
الْمُسْلِمِينَ وَأَعْدَائِهِمْ؛ فَإِنَّهُ فَصْلٌ يَفْصِلُ، وَلَيْسَ فِيهِ هَزْلٌ وَلَا فِيهِ تَهَكُّمٌ،

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٨٥).

(٢) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٨/ ٤٩٥).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٨٦).

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا هُوَ بِأَنْزِلٍ﴾ [الطارق: ١٤] خِلَافًا لِلْكَفَّارِ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿إِنِّ هَذَا إِلَّا آ

أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣١﴾ [الأنفال: ٣١]^(١).



(١) «اللقاء الشهري» (٤٥) «وقفات مع سورة الطارق» للعلامة: محمد بن صالح العثيمين رحمته.

عَاقِبَةُ تَكْذِيبِ وَكَيْدِ الْكَافِرِينَ

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ يُكْذِبُونَ بِهِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِهِ فَقَالَ:
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [سورة الطارق: ١٥] أَي: يَمْكُرُونَ بِالتَّائِسِ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى
خِلَافِ الْقُرْآنِ.

ابن كثير

﴿إِنَّهُمْ﴾ أَي: الْمُكْذِبِينَ لِلرَّسُولِ ﷺ وَالْقُرْآنِ ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾؛ لِيَدْفَعُوا
بِكَيْدِهِمُ الْحَقَّ، وَيُوَيِّدُوا الْبَاطِلَ.

﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَلِدَفْعِ مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ
الْبَاطِلِ، وَيُعَلِّمُ بِهِذَا مِنَ الْعَالِبِ؛ فَإِنَّ الْأَدْمِيَّ أضعفُ وَأَحقرُ مِنْ أَنْ يُعَالِبَ
الْقَوِيَّ الْعَلِيمَ فِي كَيْدِهِ^(١).

الكَيْدُ: هُوَ أَنْ يَتَوَصَّلَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْإِضْرَارِ بِخَصْمِهِ عَلَى وَجْهِ خَفِيٍّ، وَمِثْلُهُ
الْمَكْرُ وَالْحِدَاعُ، فَكُفَّارُ قُرَيْشٍ كَادُوا كَيْدًا عَظِيمًا لِلرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٨٦).

وَالسَّلَامُ-، وَمِنْ أَعْظَمَ كَيْدِهِمْ لَهُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]؛ ثَلَاثَةٌ آرَاءٍ: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يَعْنِي: لِيُحْبِسُوكَ حَتَّى تَبْقَى ثَابِتًا فِي الْحَبْسِ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْرُجَ ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ أَي: الْإِعْدَامُ ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وَهُنَا قَالَ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ [الطارق: ١٥-١٦] يَعْنِي: أَنَا أَكِيدُ كَيْدًا، وَتَأْمَلُ لَمَّا ذَكَرَ كَيْدَهُمْ ذَكَرَهُ بِالْجَمْعِ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ﴾، وَلَمَّا ذَكَرَ كَيْدَهُ هُوَ ﷻ ذَكَرَهُ بِالْإِفْرَادِ وَلَمْ يَقُلْ: وَنَكِيدُ كَيْدًا، فَكَيْدُ اللَّهِ -تَعَالَى- وَهُوَ وَاحِدٌ ﷻ يَغْلِبُ كَيْدَ جَمِيعٍ مَنْ كَادُوا.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ تَعْظِيمٌ لِكَيْدِهِمْ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ بِصِفَةِ التَّكْرِرِ أَي: يَكِيدُونَ كَيْدًا عَظِيمًا، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ كَذَلِكَ تَعْظِيمٌ كَيْدِهِ -سُبْحَانَهُ-؛ يَعْنِي: وَأَكِيدُ كَيْدًا أَعْظَمَ مِنْ كَيْدِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي حَصَلَ، كَادَ اللَّهُ لِتَبِيِّهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- حَتَّى خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ سَالِمًا وَعَادَ إِلَيْهَا فَاتِحًا بَعْدَ سُنِّيَاتٍ قَلِيلَةٍ^(١).

(١) «اللقاء الشهري» (٤٥) «وقفات مع سورة الطارق» للعلامة: محمد بن صالح العثيمين رحمته.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ نِسْبَةُ هَذَا الْفِعْلِ لَهُ -تَعَالَى-

قَالُوا إِنَّهُ: مِنْ بَابِ الْمُقَابَلَةِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ٥٤]،

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝١٤ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ١٥].

وَهُوَ فِي اللَّغَةِ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: لَمَّا سُئِلَ عَنْ أَيِّ الطَّعَامِ يُرِيدُ، وَهُوَ عَارٍ يُرِيدُ

كُسُوءًا:

قَالُوا اخْتَرْتَ طَعَامًا نَحْدُ لَكَ طَبْخَةً = قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا

وَقَدْ اتَّفَقَ السَّلَفُ أَنَّهُ لَا يُنْسَبُ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى- عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ، وَلَا

يَجُوزُ أَنْ يُشْتَقَّ لَهُ مِنْهُ اسْمٌ، وَإِنَّمَا يُطْلَقُ فِي مُقَابِلِ فِعْلِ الْعِبَادِ؛ لِأَنَّهُ فِي غَيْرِ

الْمُقَابَلَةِ لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ -تَعَالَى-، وَفِي مَعْرِضِ الْمُقَابَلَةِ فَهُوَ فِي غَايَةِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ

وَالْقُدْرَةِ، وَالْكَيْدُ أَصْلُهُ الْمُعَاجَلَةُ لِلشَّيْءِ بِقُوَّةٍ^(١).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ ۝ أَيُّ: أَنْظِرُهُمْ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۝ أَمْهَلَهُمْ رَبُّيَا ۝﴾

أَيُّ: قَلِيلًا وَسَتَرَى مَاذَا أَحَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالتَّكَالِ وَالْعُقُوبَةِ وَالْهَلَاكِ، كَمَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لُقْمَانَ: ٢٤]^(٢).

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٨/٤٩٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/٣٦٩).

﴿مَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْمَهُمْ رُوبًا﴾ ﴿٧﴾ [الطارق: ١٧]: مَهَلُهُمْ يَعْنِي: أَخْرَهُمْ، انْتِظِرْ
فَالْعَذَابُ وَقَعَ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَهْمَهُمْ﴾: تَوْكِيدٌ لِلأُولَى، لَكِنْ اخْتَلَفَ الشَّعْبِيُّ، فَالْمَعْنَى: مَهَلِ
الْكَافِرِينَ ﴿أَهْمَهُمْ رُوبًا﴾ أَي: قَلِيلًا فَسَوْفَ يَجِدُونَ مَكْرَهُمْ وَكَيْدَهُمْ، وَهَذَا هُوَ
الَّذِي وَقَعَ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا خَائِفًا مُخْتَفِيًا،
وَبَعْدَ ثَمَانِ سَنَوَاتٍ رَجَعَ ظَافِرًا مَنْصُورًا غَالِبًا، فَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ-
لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَهَكَذَا كُلُّ إِنْسَانٍ يَقُومُ بِأَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ سَتَكُونُ لَهُ، وَلَكِنْ
لَيَنْتَظِرُ حَتَّى يَلْحَقَ بِدَرَجَةِ الصَّابِرِينَ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ^(١).

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ لِلإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، يُرِيدُونَ لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ،
وَاللَّهُ يَكِيدُ لَهُمْ بِالإِسْتِدْرَاجِ حَتَّى يَأْتِيَ مَوْعِدُ إِهْلَاكِهِمْ، وَقَدْ وَقَعَ تَحْقِيقُهُ
فِي بَدْرٍ؛ إِذْ خَرَجُوا مُحَادَّةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَفِي خِيَلَائِهِمْ وَمُفَاخَرَتِهِمْ، وَكَيْدُ اللَّهِ لَهُمْ:
أَنْ قَلَّلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ، حَتَّى طَمِعُوا فِي الْقِتَالِ، وَأَمْطَرَ أَرْضَ الْمَعْرَكَةِ، وَهُمْ
فِي أَرْضٍ سَبَخَةٍ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي أَرْضٍ رَمْلِيَّةٍ فَكَانَ زَلْقًا عَلَيْهِمْ وَثَبَاتًا لِلْمُؤْمِنِينَ،
ثُمَّ أَنْزَلَ مَلَائِكَتَهُ لِقِتَالِهِمْ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(١) «اللقاء الشهري» (٤٥) «وقفات مع سورة الطارق» للعلامة: محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْمَهُمْ رُوبُلًا﴾ ﴿١٧﴾: هَذَا الْإِمْهَالُ الْمَذْكُورُ هُنَا يُنَافِيهِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَقْنُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٥].

وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْإِمْهَالَ مَنْسُوخٌ بِآيَاتِ السَّيْفِ^(١).

أَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ يَتْلُونَهُ حَقًّا
تِلَاوَتِهِ، وَيَتَدَبَّرُونَهُ حَقًّا تَدَبُّرِهِ، وَيَعْمَلُونَ بِهِ، وَيُحْلِصُونَ لِلَّهِ ﷻ أَعْمَالَهُمْ، إِنَّهُ
سَمِيعٌ مُجِيبٌ^(٢).

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.



(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٨ / ٤٩٧).

(٢) «تدبر القرآن» (ص: ١٨) للعلامة د. صالح الفوزان - حفظه الله.

الفهرس

- ٦ تَدْبُرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْعَمَلِ بِهِ.....
- ١٣ تَدْبُرُ الْقُرْآنِ مِفْتَاحِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ.....
- ١٦ بَيْنَ يَدَيِ تَفْسِيرِ سُورَةِ الطَّارِقِ.....
- ١٨ كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ.....
- ٢٥ دَعْوَةٌ إِلَى النَّظَرِ فِي أَصْلِ الْخَلْقِ.....
- ٢٧ الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ وَإِظْهَارُ اللَّهِ مَا فِي الصَّمَائِرِ.....
- ٣١ الْقَسَمُ بِالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ قَوْلُ فَضْلٍ.....
- ٣٤ عَاقِبَةُ تَكْذِيبِ وَكَيْدِ الْكَافِرِينَ.....